الفصل التاسع

الأكثرية المذعورة

قوانين الحقوق المدنية لم تسن لحماية حقوق البيض ولا تنطبق عليهم.[1]

ماري بري، رئيسة هيئة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة.

لماذا سمح المسيحيون بأن يطرد إلههم ودينهم من معابد حضارتهم؟ ولماذا كانت مقاومتهم ضعيفة بهذا الشكل؟

قال نابليون: إن الله إلى جانب الكتائب الكبيرة. ولكن في أمريكا كان المسيحيون هم الكتائب الكبيرة، وكانوا على ما يفترض إلى جانب الله. ومع ذلك فقد هزموا-الخيالة، والمشاة، والفيالق. في كتابه المسيرة الطويلة يعيد روجر كيمبول، وهو محرر في الكرايتيريون، الهزيمة النكراء على الجبهة الثقافية إلى حركة محافظة فاشلة.

المسيرة الطويلة لثورة أمريكا الثقافية نجحت إلى أبعد ما تصورته أشد الأحلام جموحا من الجميع عدا الطوباويين الذين يعيشون في الأوهام والأحلام. والمفارقة الكبيرة هي أن هذا النصر وقع في

وسط انزياح كبير إلى مركز اليمين في السياسات الانتخابية. والحقيقة المذهلة والمحزنة شيء أن الانتصارات المحافظة المفترضة في الانتخابات لم تفعل تقريبا أي شيء لتتحدى هيمنة مواقف وأفكار التحرريين من جناح اليسار في ثقافتنا. وعلى العكس من ذلك، ففي ما يسمى "حروب الثقافة" كان المحافظون خاسرين بارزين.[٢]

وعلى الرغم من التبجحات الفارغة لبعض المحافظين بأننا "ربحنا" حرب الثقافة، فإن الصراحة تجبر المرء على أن يذعن ويقر بأن كيمبول على حق. ولكن لماذا يكون التقليديون في تراجع؟ فالمسيحيون والمحافظون لم تعوزهم المنابر أو الميكروفونات، من أحاديث الإذاعة إلى تلفاز الكيبل، ومن الإنترنت إلى المجلات. بعد ١٩٦٨، ربح الجمهوريون معارك أكثر مما خسروا ولم تعوزهم السلطة السياسية. وأظهرت الاستطلاعات أن البلاد كانت إلى جانبهم ومن جهتهم من المتاريس في حروب الثقافة: الأمريكيون عارضوا وجود النساء في الحرب، والإجهاض عند الطلب، والتفضيلات العرقية، وفضلوا وجود الصلاة في المدارس العامة وعرض الوصايا العشر في ملصقات. وأرادوا أن تنخفض الهجرة وأن تكون اللغة الإنجليزية هي لغة أمريكا. ومع ذلك، ففي الجبهات الأخلاقية، والاجتماعية، والثقافية، كان الجمهوريون والمحافظون، والمسيحيون في تراجع مستمر تقريبا وهم اليوم كذلك، إلى حد كبير، كثرة خائفة.

لقد رفض البيت الأبيض أن يتدخل في أثناء تعرض جون آشكروفت للضرب حتى الإدماء من تيدي كينيدي ومن الديمقراطيين في اللجنة القضائية. ولم يحضر لا السيد بوش ولا قرينه المرشح مؤتمر عام ٢٠٠٠ للتحالف المسيحي. السيد بوش أرسل شريطا مسجلا. ولكنه خصص وقتا في برنامج حملته يتقابل فيه مع الشاذين الجمهوريين من نادي لوغ كابن. وعندما صار علم المعركة الخاص بالكونفدرالية جدلا مشتعلا، قال الحاكم بوش. إن الأمر عائد للكارولينياويين الجنوبيين ليقرروا. ولكن حالما انتهت الانتخابات المبدئية لمرشح الرياسة، أمر بوش بإنزال اللوحات التذكارية للكونفدرالية من المحكمة العليا لتكساس.

ما من متحدث في المؤتمر الجمهوري في فيلادلفيا كان مسموحا له أن يدافع عن موقف الحزب في الدفاع عن المسألة الأخلاقية للحياة. ومع ذلك، فإن كولن باول أعطي وقتا رئيسيا ليحاضر الحزب عن نفاقه المفترض في معارضة سياسات برنامج العمل الإيجابي، وابتسم الجمهوريون المتطهرون بأدب من خلال دهائهم العام. في القضايا الاجتماعية والأخلاقية التي حددت الريغانية فيما سبق هرب الحزب من الميدان.

وكان مدار المؤتمر على "أنه حزب جمهوري مختلف". نعم، إنه كذلك، مع إرضاء الموضة في فيلادلفيا. سيء القصد الفطن السيد

بل ماهر استهزأ بالقول: "إن آخر مرة وجد لدى الجمهوريين مثل هذا العدد من السود على المسرح، هي عندما كانوا يبيعونهم".[٣] وعندما سعى السيد بوش "للوصول" إلى الجمعية الوطنية الأمريكية لتقدم الشعب الملون بمخاطبة مؤتمرها، ردت الجمعية بإعلان هجومي يصور ابنة جيمس بيرد(*)، وهذا يعني أن معارضة السيد بوش لقانون جرائم البغضاء كان يعني أن بوش لم يأبه بقتل والدها قتلا استبداديا. وكلما طلب النقاد أن يصل الجمهوريون لأولئك الذين عضوا يد الجمهوريين مرة تلو الأخرى كان الحزب يتواصل معهم مطيعاً، وكان يُعض ثانية _ وهي تسلية لمعذبيه لا تنقضي. ولخصت ناشيونال ريفيو نجاح سياسات الاسترضاء فقالت:

> حاول بوش، أكثر من أي مرشح جمهوري سابق، ألا يسيئ إلى الحساسيات الليبرالية في موضوع العرق. واحتضن الهجرة، وساند

(*) عازف أسود كان عائدا إلى بيته فهاجمه ثلاثة شبان بيض وقتلوه بطريقة وحشية (١٩٩٨). ضرب حتى فقد الوعي، ورش عليه في وجهه بالدهان الأسود، وربط بسيارة، وجرد من ملابسه وجر جسمه وهو حي أكثر من ميلين ونصف وجروه حتى تمزق في منطقة سوداء وهي منطقة جاسبر في تكساس وتركوه وجلده ودمه وذراعاه ورأسه وأعضاؤه الأخرى من جسمه ملاقاة على الطريق العام ثم وضعت بقاياه أمام مقبرة للسود. وكان حاكم تكساس هو جورج بوش الابن، الرئيس الأمريكي الحالي، وبعد أن أدان جريمة قتل بيرد بدون اهتمام كبير رفض دعوة في أن يزور منطقة جاسبر شخصيا ليظهر شجاعته بشأن القتل العرقي بدافع الكراهية. وكان بهذا لا يرغب في إضعاف مركزه لدى التجمع المسيحي للجماعات اليمينية المتطرفة الذين كان يعتمد عليهم للوصول إلى الرياسة في عام ٢٠٠٠م.

التعليم ثنائي اللغة، وجعل موقفه في التفضيلات العرقية غامضا، وظهر أمام الجمعية الوطنية لتقدم الشعب الملون، وقسّم الخلاف على جرائم البغضاء، وجعل كولن باول يهز الإثم في المؤتمر الجمهوري. فكانت جائزته: ٣٥ بالمائة من الصوت الهسباني وحصة أصغر من الصوت الأسود هي أقل من الحصة التي حصل عليها بوب دول في ١٩٩٦.[٤]

المحافظون فقدوا اليقين الأخلاقي الذي ملكوه عندما كانوا شبابا وكان إيمانهم إيمانا مقاتلا. والآن، يبدون قلقين بشكل يائس ليعيدوا التوكيد للجمهور بأنهم ليسوا متعصبين في الحقيقة، ولكنهم في كل جزء منهم أصحاب قلوب ودودة ومقاصد حسنة مثل متهميهم. وبعد أن اختار السيد بوش وزارته، قال رئيس الجمعية الوطنية لتقدم الشعب الملون جوليان بوند إن بوش "اختار مرشحين من جناح الطالبان في السياسات الأمريكية، واسترضى الشهية التعيسة لجناح اليمين المتطرف واختار مسؤولي الوزارة الذين يعتبر إخلاصهم للكونفيدرالية تقريبا كإخلاص الكلاب في التعاطف غير الانتقادي".[٥]

كتب ريتشارد آرمي قائد الأكثرية في المجلس النيابي إلى رئيس الجمعية الوطنية لتقدم الشعب الملون كوازي مفيوم يقول له إن مثل هذه اللغة كانت "عرقية ومكارثية" وهي "طُعم عرقي معكوس"[٦] وقال

آرمي:"سواء أكانت هذه الممارسة متعمدة أم لا فإنها إن تركت بدون تحد لها فسوف تستمر في تقسيم أمتنا."[٧] وطلب آرمي عقد اجتماع، ولكن بوند استبعد رسالته بصفتها "شكوى نموذجية من أولئك الذين يعارضون العدل والإنصاف".[٨]

الحادثة مفيدة في تعليمنا. فواحد من أعلى الرتب من الجمهوريين في الأمة طلب عقد اجتماع مع الجمعية الوطنية لتقدم الشعب الملون التي قام قادتها بتلطيخ حزبه والقدح بالرئيس المنتخب، فعامله بوند بازدراء. إن حزبا جمهوريا واثقا من نفسه أخلاقيا كان سيمزق جلد بوند، ويطلب أن تنظر مصلحة الدخل الداخلي في شأن الجمعية الوطنية لتقدم الشعب الملون لتتأكد من أنها لم تكن تخرق استثناءها من الضريبة بانغماسها في هجمات حزبية، وسيطلب قطع التمويل الفيدرالي المبني على حرية الاختيار والتقدير للجمعية الوطنية لتقدم الشعب الملون إلى أن يتم طرد بوند، وكان سيكتب إلى المؤسسات المانحة الكبرى للجمعية الوطنية لتقدم الشعب الملون لتسألها ما إذا كانت تساند الهجمات الفوضوية على الرئيس، وكان سيعدل قوانين الضريبة لمعاقبة مؤسسات مثل فورد التي تمول، بدولارات معفاة من الضرائب، الهراء ضد الرئيس والحزب الجمهوري. كيف ينبغي للمحافظين أن يتعاملوا مع الجمعية الوطنية للشعب الملون؟ بالطريقة ذاتها التي يتعامل بها الديمقراطيون الليبراليون مع اليمين المتدين.

بدلا من أن يفعل السيد آرمي ما تقدم طالب بالحوار. الرد بالهجوم في حرب الثقافة صار غير متناسب مع الصورة الجديدة للجمهوري. ومنذ أن غادر رونالد ريغان، همست وسائل الإعلام في الآذان الجمهورية:"القضايا الأخلاقية والاجتماعية خاسرة. أسقطوها أو اهبطوا إلى الهزيمة". والجمهوريون تسلموا الرسالة وصاروا معترضين واعين في حرب الثقافة.

وأمريكا، أيضا، فقدت على ما يبدو يقينها الأخلاقي. ففي الخمسينيات من ١٩٥٠، أخرج الرئيس آيزنهاور دفعات من الغرباء غير الشرعيين في عملية عرفت باسم الظهر المبتل (ويتباك) ولم يعتذر لأحد عن دفاعه عن حدود الولايات المتحدة والأمر على الواغلين المتسللين فيها أن يعودوا إلى بلادهم. الجمهوريون اليوم لن يطلبوا ولا حتى أن نقفل الحدود التي يحاول ١,٥ مليون من الغرباء أن يخترقوها ويجتازوها في كل عام. ما من أحد يريد أن يُسمى قطريا محليا. وعندما قابلت المجلة الأسبوعية المحافظة هيومان إيفنتس سبعة عشر عضوا من المجلس ومن الكونجرس، وسألت ما إذا كانوا يساندون الغرباء غير الشرعيين الذين كسروا قوانيننا ودخلوا بلادنا، قال اثنان فقط نعم بشكل مطلق.[٩] وذلك لأن الأمريكيين الهسبان يمكن أن يردوا بالانتقام ضد أعضاء الكونجرس الذين يطالبون بتطبيق قوانيننا في مجال الهجرة،

والكونجرس لن يصر على الرئيس لتطبيق هذه القوانين. مثل هذا الجبن يمكن أن يكلفنا بلادنا. لقد كان هناك إنهاك مزعج لإرادتنا في أن نفعل ما هو ضروري لصون الأمة الفريدة التي كانتها أمريكا في الماضي.

في تلك الانطلاقة في ولاية بورتلاند حيث قال السيد كلينتون إنه في غضون خمسين عاما لن يكون هناك "أي أكثرية عرقية باقية في أمريكا"، انفجر الطلاب في هتاف عفوي.[١٠] من المؤكد، أنه لأمر نادر في التاريخ أن شعبا يصطف ويهتف لأخبار تقول له إنه وأطفاله في القريب سيجردون من امتلاكهم لميراثهم بصفتهم أكثرية في الأمة التي بناها أسلافهم.

والفساد الأخلاقي أكثر انتشارا في أوروبا منه في أمريكا. فالأمم التي حشدت في ميادين الحرب في القرن العشرين جيوشاً ضمت ملايين الرجال هي اليوم أمم تعوزها الإرادة لتجنيد ما يكفي من القوات لتوفر دفاعها هي عن نفسها. ويفضلون أن يتركوا للأمريكيين أن يقوموا بذلك. سكان أوروبا ينكمشون، وأممها تنقسم إلى أجزاء، ولكن القلة هي التي تهتم بذلك على ما يبدو. والألمان، وهم مفعمون بالإحساس بالذنب، يريدون على ما يبدو أن يفقدوا أنفسهم داخل الشرنقة الدافئة في أوروبا متحدة. والأمم الأخرى أيضا تبدو منهكة من الكفاح لتكون مستقلة وحرة، وهم يستعدون

لقبول إملاءات الدول الكبرى الأوروبية. قال سولجنيتسين "الأمم هي ثروة الإنسانية، وهي شخصياتها العامة: أصغر الأمم لها ألوانها الخاصة بها، وهي تجسد وجها خاصا من مقاصد الله، وإن اختفاء الأمم سوف يفقرنا ليس بأقل مما لو أن كل الناس خلقوا متشابهين، بشخصية واحدة، ووجه واحد."[١١] ومع ذلك يبدو أن أمم أوروبا قد تصالحت مع الواقع الحقيقي الذي يوحي بأن زمانهم على الأرض قد يكون في طريقه إلى النهاية.

القادة الذين يريدون أن يحفظوا هويتهم وشخصيتهم الوطنية الفريدة يوصمون بأنهم عنصريون عرقيون وكارهون للأجانب كرها مرضيا. في الدانمارك، وزيرة الداخلية كارين جيسبيرسن، وهي راديكالية في الستينيات من ١٩٦٠، أشعلت عاصفة من الامتعاض عندما اقترحت أن يوضع المهاجرون أصحاب السجل الإجرامي في "جزيرة معزولة." وقالت إنها "لا ترغب في أن تعيش" في أمة متعددة الثقافات "حيث تعتبر الثقافات متساوية."[١٢]

الدانمارك صارت خلية للاجئين السياسيين، ولكن الضيافة الدانماركية يجري استغلالها من عصابات إجرامية من أذربيجان، وأرمينيا، وأكرانيا. وتعليق جيسبيرسن حول تفضيلها لثقافتها الخاصة تبعته سلسلة من أعمال الاغتصاب تقوم بها عصابات من مهاجري الشرق الأوسط لنساء دانماركيات، وطلبات بأن تصير

القوانين الدانماركية منسجمة مع الشريعة الإسلامية، مع تحديدات على النساء، وعودة إلى عقوبة الإعدام، والقطع عقوبة للسرقات.

ذهلت أوروبا لما قالته مز جيسبيرسن. وكانت ردود الفعل "سريعة وغاضبة"، حسب ما كتب هنريك بيرنغ في بوليسي ريفيو.[١٣] وكان المركز الأوروبي للمراقبة على العنصرية العرقية وكراهية الأجانب مهتما فوريا بقضيتها. ولكن نظرا لأن ٣٣ بالمائة من الميزانية الاجتماعية للدانيمارك تذهب إلى ٤ أربعة بالمائة من سكان الأمة المكونة من مهاجرين غير غربيين، فإن الدانيماركيين بدؤوا لا ينصتون لأوروبا وينصتون إلى كارين.

شيء حيوي ما قد غادر أوروبا. في انتحار الغرب الذي كتب في ١٩٦٤، اكتشف الخبير بإستراتيجية الحرب الباردة جيمس بيرنهام حالة عقلية، هي تصالح الشعوب الغربية مع موت امبراطورياتهم وكسوف حضاراتهم. وسمى بيرنهام ذلك "إيديولوجية الانتحار الغربي."[١٤] ويبدو الآن أن المرض قد تحول إلى وباء.

لماذا لم يتصرف المحافظون بشكل أكثر حسما لرد الثورة التي تهدد حضارتهم وثقافتهم؟ هناك عديد من الأسباب.

السبب الأول هو أن أتباع باري جولد ووتر ورونالد ريغان انجروا إلى سياسات جلبتها القناعة بأن أمريكا كانت تخسر الحرب الباردة. وكانت حركتهم غير مستعدة، غير مجهزة، غير مدربة

لحرب ثقافية. وبانتخاب رونالد ريغان، وسقوط جدار برلين، وانهيار الامبراطورية السوفييتية، زال السبب الكبير الذي كان قد وحدهم.

وزيادة على ما تقدم، فإن العديد من المحافظين في السياسات، والصحافة، والإذاعة هم أفضل معرفة بكثير في الاقتصاد والسياسة الخارجية منهم في التاريخ، أو الفلسفة، أو اللاهوت. وكما لاحظ أحد النابهين، "الجمهوريون وضعوا على هذه الأرض ليخفضوا الضرائب". وفي بعض الأحيان، يبدو أن ذلك السبب هو السبب الوحيد الذي وضعوا من أجله على أرض. والعديد منهم، من الذين لم يدرسوا قضايا الأخلاق والثقافة يشعرون بعدم الارتياح مع مثل هذه القضايا، وليس لهم اهتمام بها، ولا يعتقدون أنها تنتمي إلى السياسات. وكانت هذه التحفظات في ذهن المتوفى ريتشارد ويفر عندما كتب يقول:"الكثير من المواقف التقليدية في عالمنا لم تعان بسبب خلل موروث بقدر ما عانت بسبب الغباء، والخرق والبلادة الفكرية لأولئك الذين.... يفترض أنهم يتحملون مسؤولية الدفاع عن تلك المواقف."[١٥]

إذا ما ووجه هؤلاء المحافظون بقضايا أخلاقية، أو اجتماعية، أو ثقافية، فإنهم يتحركون بسرعة بعيدا عنها إلى الضرائب والدفاع، حيث يشعرون أنهم يقفون على أرض صلبة. ولكن على

الرغم من رغبة جمهورية متحمسة أن تمر هذه الحرب الثقافية بعيدا، فهي لن تمر بعيدا، وذلك، كما قال تروتسكي: "قد لا تكون مهتما بالحرب، ولكن الحرب مهتمة بك."[١٦]

السبب الثاني، بالسيطرة على المؤسسات التي يقضي فيها الشباب معظم ساعات اليقظة-تلفاز الموسيقى وساعات البث المسائي الرئيسية، والأفلام السينمائية والمجلات، والمدارس والكليات - تكون الثورة قادرة على أن تشكل قيم الشباب، ومعتقداتهم، ومواقفهم. والفنانون، والممثلون، والكتاب المسرحيون، وكتاب الأغاني، والمطربون المشهورون يقفون كلهم تقريبا في الجانب الآخر. والمعلقون في الصفحات الأولى المواجهة للافتتاحيات الذين يناقشون الشؤون الشخصية، وضيوف الأحاديث في الراديو والتلفاز لا يستطيعون أن يكونوا ندا لقوة هذه النيران الثقافية. الترسانات غير متساوية. وزيادة على ما تقدم، فإن التسلية التي تمتلكها الثورة الثقافية لتقدمها للشباب هي تسلية أكثر جاذبية وغواية، وهكذا، فالعديد من أبناء المحافظين يهربون. على الرغم من أن الكثيرين منهم بعد أن يكبروا ويتقدموا في العمر، يصيرون بنات وأبناء نادمين تائبين ويعودون آسفين إلى بيوت آبائهم.

قبل نصف قرن، كان الناقد الأدبي ليونيل تريللنغ يستطيع أن يكتب، "في الولايات المتحدة في هذا الوقت ليست الليبرالية هي المهيمنة

فقط بل التقليد الفكري الوحيد في الحقيقة. وذلك لأن الحقيقة الناصعة هي أنه لا توجد في هذه الأيام أفكار محافظة أو رجعية في التداول العام."[١٧] وعلى الرغم من أن هذه مبالغة حتى بمقاييس ذلك الزمان، فإن خط تريللنغ مع ذلك يحتوي على لبابٍ من الحقيقة. ومنذ الستينيات من ١٩٦٠، كان هناك انفجار سكاني بين صانعي الثقافة ومشكلي الفكر _المفكرون، والنقاد الاجتماعيون، والمعلمون، والصحفيون، والكتاب، والبيروقراطيون، والفنانون. وفجأة، لم يتفوق الآخرون على المحافظين في العدد وحسب بل لقد اكتسحوهم.

ويكتب كرين برنتون في كتاب تشريح الثورة أن إحدى علامات"المجتمع غير المستقر بصورة واضحة" هي الظهور المفاجئ لحشد ضخم من المفكرين:

> فهم يهاجمون بمرارة المؤسسات الموجودة، ويرغبون في إحداث تغييرات كبيرة في المجتمع، والأعمال التجارية والحكومة. وبشكل رمزي محض، يمكننا أن نقارن المفكرين من هذا النوع بكريات الدم البيضاء، حارسات تيار الدم. ولكن يمكن أن تكون هنا زيادة مفرطة من هذه الكريات البيضاء، وعندما يقع ذلك يكون عندك حالة مرضية.[١٨]

بتعريف برنتون، أمريكا على ما يبدو قريبة من تلك "الحالة المرضية."

السبب الثالث، خلافا للسياسات العادية، التي يمكن أن توجد فيها عادة أرض متوسطة ويمكن الوصول فيها إلى حل وسط، فإن حرب الثقافة هي لعبة «ربح أو خسارة». ربحُ أحد الطرفين هو خسارة الآخر. فالإجهاض، والانتحار المعان، والزواج الشاذ هي مسائل أخلاقية تدعو إلى نعم أو لا من السياسيين الذين يفضلون أن يشقوا الخلاف ويتقابلوا في الوسط المعتدل. الجمهوريون، ومعظمهم لا يرون في السياسة رياضة فيها قتل، ليسوا مستعدين للقتال في غير المكان المحدد الذي تستلزمه النظرية النقدية ببلاغتها المتوحشة وسياساتها الهجومية.

في السياسة القديمة، متقلدو المناصب "أشاروا بكبرياء" والمتحدون "نظروا بخوف." في حرب الثقافة، الثورة دائما في حالة هجوم، والتقليديون دائما في حالة دفاع. "القوة لا تكمن في الدفاع بل في الهجوم"، هكذا كتب الثوري الثقافي الصاعد الذي كان اسمه أدولف هتلر.[١٩]

تمعن في حرب الثلاثين عاما من أجل السيطرة على موقع القيادة في حرب الثقافة، وهي المحكمة العليا. اثنان من مرشحي السيد نيكسون، القاضيان الفيدراليان كليمنت هينزورث، وجي. هارولد كارزويل، جُلدا بالنقد ورُفضا. واثنان من مرشحي رونالد ريغان، القاضيان الفدراليان روبرت بورك، ودوغلاس جينزبيرغ،

عُقرا بالنقد ورُفضا، الأخير من أجل عدم التبصر بسلوكه بشأن المارجوانا بوصفه أستاذا للقانون. أما اسم بورك فصار فعلا في اللغة، وصار يعني تمزيق سمعة المرشح إربا إربا قبل رميه جانبا. ومرشح جورج بوش، كلارنس توماس، كان عليه أن يمر بين صفوف الإروكواي ليتلقى ضرباتهم.

قارن مجزرة الزقاق الخلفي هذه للقضاة المحافظين مع المعاملة التي قدمت إلى مرشحي كلينتون ستيفن بريير وروث بادرجنزبيرغ اللذين عوملا كما لو أنهما كانا في وجبة المساء مع الشاي. كلاهما قدم باحترام وثبت بسهولة. إن الدوائر الأساسية الانتخابية للحزب الديمقراطي تفهم حرب الثقافة، بينما يبدو العديد من الجمهوريين هانئين غير واعين بوجود حرب من هذا القبيل في الحقيقة.

"السياسة تقف عند حافة الماء" و "الحزبية تنتهي عندما تغيب الشمس" هذه كانت الكليشيهات في الأمس الماضي. أما حرب الثقافة فهي ما دعاها ماو "الثورة الدائمة". إذا نزل علم المعركة الكونفيدرالي في كارولينا الجنوبية، وجورجيا، وفلوريدا فسوف تتحرك الجبهة إلى الميسيسيبي. وعندما تنزل كل الأعلام، تتلوها التماثيل والصور، ثم أسماء المدارس، حتى يكون الاحترام العام المبذول لأبطال الديكسي قد انمحى إلى الأبد.

السبب الرابع، ثلاثون عاما من القصف الثقيل سحق المعنويات المسيحية. خلافا لعصر فيلم أجراس قديس ماري و فيلم أغنية بيرناديت، يجري الآن تصوير الرهبان والوعاظ المبشرين في أغلب الحالات، في الأفلام السينمائية وفي التلفاز بوصفهم منافقين أو فاجرين أو غير متسامحين ومتخلفين. من يريد أن يدافع عن قيم الأسرة عندما يكون الثمن هو السخرية العامة؟ والكنائس مثل كل مؤسسة، كانت تحت النيران المستمرة وتظهر عليها علامات إعياء المعركة. والكنائس محفوفة بالانشقاقات حول الإجهاض والشذوذ، ومصابة بمرض الفضائح من تصوير شهوانية رجال الدين العاملين في التلفاز إلى الرهبان الميالين إلى الأطفال، إنها ليست الكنائس التي كانت في الماضي. إن السلطة الأخلاقية مثل النسيج العضلي، إذا لم يتمرن يضمر ويموت. إن مراقبة الشيوخ الكاثوليك، بدون إذن رسمي من قبل أساقفتهم، يدعم اعتراض بل كلينتون على المنع الموجه إلى إجهاض الولادة الجزئي "_قتل الأطفال" بالنسبة للشيخ موينيهان _معناه أن تنظر إلى أي مدى في المنحدر انزلقت الكنيسة القديمة وتعثرت منذ الأيام الواثقة للبابا بيوس الثاني عشر.

التهم المستمرة بالعنصرية العرقية، والتمييز بين الجنسين، وكراهية الشواذ والتعصب، قد نالت الكثير من معنويات التقليديين. وتكلفة الاستمرار في القتال تبدو عالية على نحو لا يمكن التسامح

به. الكثيرون استسلموا للانهزامية واليأس والأنين مثل نجوم هوليوود ونجيماتها الذين يهددون بترك البلاد بدل أن يعيشوا في أمريكا جورج بوش. وهكذا، فالمسيحيون يوفرون اعتراضهم لخصوصية حجرة التصويت، ولكن أولئك الذين ينتخبونهم لا يمتلكون في الغالب الميل إلى هذه المعركة أكثر مما يفعلون.

تحدث القاضي كلارنيس توماس عن ثمن المقاومة في عشاء معهد المشروع الأمريكي في ٢٠٠١ وقال: "المواطنون النشيطون يخضعون في الغالب لهجمات شريرة حقا، فهم يوصمون بأنهم حقودون، وعنصريون عرقيون، وانتهازيون، وسود، وكارهون للشواذ، ومميزون بين الجنسين"[٢٠] وأضاف القاضي، تحت مثل هذه الهجمات "نحن نراقب أنفسنا. وهذا ليس أدباً، هذا جبن."[٢١] وبوصفه مسؤولا فيدراليا، تساءل توماس عن الحكمة من العمل الإيجابي وعن نقل الطلاب بالسيارات من أجل التوازن العرقي. اتهمه القادة السود "بالخيانة" لشعبه. وكان الغرض من التهمة كما قال توماس هو "التخويف."[٢٢]

فشل المخوِّفون مع كلارنيس توماس ولكنهم نجحوا مع بعض المحافظين الذين لم يبقوا يصدرون الطلبات وصاروا مثل الشعوب المهزومة، يريدون أن يصرّفوا أمورهم ليس غير. ولكن، في حرب الثقافة، حيث يقوم الجانب الآخر دائما بإصدار الطلبات، والجانب

الآخر دائما جاهز للقتال، فإن هذا الموقف يترجم إلى تراجعات لا تنتهي وإلى هزيمة في نهاية المطاف.

السبب الخامس، شعب الله والبلاد نشأ على أن يحترم ويطيع حكامه. القضاة الثوريون مثل ورن، ودوغلاس، وبرينان، اعتمدوا على المحافظة الداخلية للأكثرية الصامتة عندما فرضوا جدول أعمالهم الراديكالي. كثير من الأمريكيين غضبوا، ولكنهم شعروا بأن عليهم أن يطيعوا. فبعد كل شئ، كانت هذه المحكمة العليا. وطالما اعتقد الأمريكيون أن حكومتهم تتصرف بشكل دستوري فهم سيطيعون.وبالتعريف، المحافظون ليسوا ثوارا. ولكن الآباء المؤسسين لم يكونوا ثوارا كذلك حتى دفعوا إلى الجدار.

السبب الأخير، أن جيلا جديدا هو الآن كبير لا يعتبر الثورة الثقافية بالنسبة له ثورة قطعيا، ولكنها الثقافة التي ولد فيها وعرفها أبناء الجيل طوال حياتهم. الشذوذ العلني، والكتابات الفاضحة، والإجهاض، والكلام الهراء في التلفاز والأفلام السينمائية، والأغاني القذرة في الموسيقى الشائعة كلها كانت حول هذا الجيل من قبل أن يستطيعواالتذكر.

ليس أمراً مهما. الكثيرون صاروا يقبلون أحكام الحداثة حول كم كانت شريرة أمريكا القديمة. إن الثقافة التقليدية هي التي يجدونها غريبة. لقد مروا عبر المدارس والجامعات، واستهلكوا

الوجبة، وصاروا يعتقدون ما كانوا قد تعلموه عن الأبطال القدامى لبلادهم وعن تاريخها. وصاح الراديكاليون في الستينيات من ١٩٦٠في أمريكا الوسط: "سوف نسرق أطفالكم" وقد فعلوا.

ومع نخبة ثقافية جديدة غير متسامحة صاعدة الآن، فإن نقطة الضعف في المحافظين هي أنهم محافظون. في السبعينيات من ١٧٧٠، جاء وقت أدرك فيه رجال محافظون أمثال واشنطون وجون هانكوك أنهم هم، أيضا، يجب أن يصبحوا ثائرين مثل باتريك هنري وسام آدمز. وعندما كانت الثورة الفرنسية في مسيرتها في أشخاص روبسبير وبونابرت، كان جيدا أن يكون هناك إدموند بيرك، ولكن المرء احتاج أيضا إلى نيلسون وإلى الدوق الحديدي(*) قال الدكتور سام فرانسيس: "إن أول شيء يجب علينا أن نتعلمه حول القتال في حرب الثقافة وكسبها هو أننا لا نقاتل "لنحفظ" شيئا ما، نحن نقاتل لنطيح شيئا ما."[٢٣] والدكتور سام فرانسيس هو كاتب افتتاحيات تنشر في عدد من الصحف وهو مؤلف كتاب الثورة من الوسط.

> يجب أن نفهم بوضوح وحزم أن السلطات المهيمنة في ... المؤسسات الكبرى، ووسائل الإعلام، والمدارس، والجامعات، ومعظم نظام

(*) الدوق الحديدي لقب الدوق ولينغتون (١٧٦٩-١٨٥٢). قائد وسياسي بريطاني. قاد القوات البريطانية في معركة واترلوا وهزم نابليون بونابرت (١٨١٥).

الثقافة المنظمة، بما فيها الفنون والتسلية - لا تفعل شيئا من أجل المحافظة على ما يراه معظمنا طريقة حياتنا التقليدية ولم تكتف بذلك، بل سعت تلك السلطات في الحقيقة إلى تدميرها أو هي غير مبالية ببقائها. إذا كانت ثقافتنا سوف تحفظ، فإننا نحتاج عندئذ إلى إطاحة السلطات المهيمنة التي تهددها. عن عرشها.[٢٤]

نحن - التقليديين - الذين نحب الثقافة والبلاد، نشأنا في أجواء تفرض علينا أن نتعامل مع هذا السؤال: هل نقوم ببساطة بالمحافظة على البقية الباقية من الثقافة، أو نحاول أن نسترجع الثقافة؟ هل نحن محافظون، أو يجب أن نصير مضادين للثوريين ونطيح الثقافة المهيمنة؟

الأمريكيون الذين ينظرون إلى هذه الثورة الثقافية على أنها سياسة كما هو المعتاد لا يفهمونها. إنها تعني أن تضع نهاية للبلد الذي نحبه. إنها لا يمكن استرضاؤها. إنها لا رحمة فيها، وإن الاستخدام المتهور لألفاظ مثل متطرف، ومميز بين الجنسين، وعنصري عرقي، وكاره للشواذ، وقطري محلي، وكاره للأجانب، وفاشيستي ونازي يؤكد مدى الجدية التي تأخذ بها هذه الثورة الصراع وتؤكد الكيفية التي تنظر فيها إلى أولئك الذين يقاومونها. بالنسبة إلى المؤمنين الحقيقيين بالثورة، فإن اليمين ليس خطأ وحسب بل اليمين هو الشر.

ههنا جيسي جاكسون، الصوت الأول لأمريكا السوداء، بعد انتصار الحزب القديم الكبير (الجمهوري) ١٩٩٤ يقول:"الكراهية والأذى في نجاح مستمر في أمريكا. لو أن ما كان يحدث هنا كان يحدث في أفريقيا الجنوبية، لكان يجب أن يدعى تمييزا عنصرياً عرقياً. ولو كان يحدث في ألمانيا، لكان يجب أن ندعوه نازية. وفي إيطاليا يجب أن ندعوه فاشية. هنا نسميه المحافظة."[٢٥] ونظراً إلى أن فريق السيد بوش كان يربح معركة العدد في فلوريدا، فإن جاكسون عاد إلى القول: "إذا نجح السيد بوش، فسيكون نجاحه بالتكتيك النازي..." سوف نخرج إلى الشوارع الآن فورا . سوف ننزع شرعية بوش، ننزع الثقة من الثقافة، نفعل كل ما يلزم ولكن لن نقبل به."[٢٦]

بالنسبة إلى جوليان بوند، فإن نقاد العمل الإيجابي هم "فاشيون جدد."[٢٧] وبالنسبة إلى عمدة أطلانطا السابق مينارد جاكسون، فإن علم المعركة الكونفيدرالية هو "صليب معكوف، "[٢٨] ولعضو الكونجرس ماكسين ووترز، فإن جون أشكروفت "عنصري عرقي."[٢٩] وقال عضو الكونجرس عن ميسوري ويليام كلاي عن قرار السيد بوش لتسمية اشكروفت" هذه هي "الطريقة التي عمل بها أعضاء منظمة كوكلاكس كلان لتحسين العلاقات العرقية- فهم أيضا وصلوا إلى السود بالأنشوطات والصلبان المحروقة."[٣٠]

مساواة المحافظين بالنازيين وأعضاء منظمة كلان يعود تاريخها على الأقل إلى الوراء إلى الدكتور كينغ، وهو الذي اعترف بأنه كان يرى في حملة جولد ووتر "علامات خطر الهتلرية."[٣١] هذه الفرية شائعة الآن، لأن التكلفة مجانية. وصحافيون قلائل سيستدعون القادة السود للحساب، لأن بعض الصحافيين يشاركهم عداءهم ضد المحافظين، بينما هناك آخرون يتفقون مع ماركيوز الذي دعا إلى عدم التسامح نحو المحافظين لنزع الشرعية عن اليمين لأنه أبعد من أن يُشبه السياسات التي يمكن القبول بها.

إن رمي الخصوم بكلمات النازيين، والفاشيين، والكلانيين، عندما لا تحمل هذه التهم أي عقوبة، يمكن أن يكون لها مردود مجز. إنها تضع الخصم خارج صحبة الرجال المحترمين، وتنزع الثقة مقدما عما يقوله، وتجبره على أن يدافع عن شخصيته أكثر مما يدافع عن مواقفه. وهناك مردود نفسي. فبعد كل شيء، فإذا كان المرء يقف في وجه النازيين أو ركاب الليل، فإن هذا بالتأكيد أكثر بطولة من الوقوف في وجه دينيّ هاستيرت أو ديك آرمي. وكلما زاد المرء في شيطنة عدو زاد في منح نفسه "بطولة".

في شيطنة اليمين هناك أيضا توهمات خيالية من اليسار. السيد كلينتون تحدث بقوة عن حرق كنائس السود على يد العنصريين العرقيين في أركنساس التي عرفها في شبابه، ولكن

ذلك لم يحدث مطلقا. والسيد غور يستطيع أن ينفجر باكيا وهو يروي كيف قطع عهدا بأن يقاتل توباكو الكبير(*)حتى آخر خندق عندما راقب أخته الحبيبة وهي تموت من سرطان الرئة. ولم نعلم إلا مؤخرا أن السيد غور كان ما يزال يلف مع توباكو الكبير لمدة طويلة بعد موت أخته. والتوهمات الخيالية هذه من وولتر ميتي تشرح كيف أن آل غور اخترع الإنترنت، واكتشف قناة الحب، ورأى أن علاقته الغرامية الساخنة مع تبّر(**) تلهم كتابة قصة حب. في عقل غور، قد تكون حدثت بتلك الطريقة تماما. وعندما يقارن جيسي جاكسون معركة فلوريدا القانونية مع معركة سلمى(***)، فهو لا يلقي بالمحامين الجمهوريين بوصفهم قوات حملة الهراوات لـ

(*) هذا لقب شركات الدخان الخمسة الكبرى التي تجني بلايين الدولارات وتحصد بأضرارها ملايين الأرواح.

(**)السيدة تبر الغور زوجة نائب الرئيس الأمريكي السابق. تزوجا في ١٩٧٠ وأنجبا ٤ أطفال.

(***) مؤتمر القيادة المسيحية الجنوبية بقيادة مارتن لوثر كنغ وآخرين قامت بسلسلة من الاحتجاجات والمسيرات من أجل الحقوق المدنية للسود. وفي ١٩٦٣م في بيرمنغهام في ألباما قامت احتجاجات شاملة في المدينة ضد العزل العنصري ولكن المسؤولين في الشرطة بقيادة يوجين "بل" أوكونور استخدموا الكلاب البوليسية وخراطيم المياه العالية الضغط لتفريق المحتجين. وفي ١٩٦٥ في سلمى في ألباما قامت احتجاجات وحاول المحتجون المسير إلى العاصمة مونتغمري، فواجهتهم قوات الولاية والشرطة الراكبة بوحشية وقسوة وهاجمت المحتجين خارج سلمى ومنعتهم من الذهاب إلى العاصمة ويعرفون هذا اليوم باسم "الأحد الدامي".

"بُل" كونور مع كلاب الهجوم الخاصة بهم ـ ولكن يلقي نفسه هو بوصفه بطل جسر سلمى.

في قصيدة للشاعر تي. اس. إليوت ينتحب جيه. ألفرد بروفروك فيقول: " قست حياتي بملاعق القهوة."[٣٢] وكذلك أيضا فعلت نخبنا الثقافية. ولكنهم في عقولهم يرفعون يوميا سيف الملاح ضد النازيين، والفاشيين، والكلانيين الذين لولا ذلك لكانوا هاجموا الأقليات المضطهدة التي لا دفاع لها. لم لا ينبغي للمرء أن يشعر شعورا طيبا عن نفسه؟ بالنسبة إلى التقدمي هذه الأيام، فإن الجناح الغربي للرئيس جوسياه بارتليت هو العالم الحقيقي.

إن سياسات الموقف لا تستدعي أي ألم. تمعن ثانية في قول مز سونتاغ: "العرق الأبيض هو سرطان التاريخ الإنساني...العرق الأبيض وهو وحده...يستأصل الحضارات ذات الحكم الذاتي حيثما انتشر."[٣٣]

أعد كتابة تلك الجملة مع "العرق اليهودي" في مكان "العرق الأبيض" وسوف يكون النص مناسبا بشكل جميل لكتاب كفاحي. لو أن سونتاغ مزقت الشعب اليهودي بهذه الشراسة، لكان مسارها قد انتهى هناك. ولكن نقدها اللاذع ضد "العرق الأبيض" لم يؤد إلى تضاؤل مكانتها أكثر مما أدت زيارتها إلى هانوي في ١٩٦٨، عندما كان الفيتناميون الشماليون يعذبون أسرى الحرب الأمريكيين.

سونتاغ بعد ذلك ربحت منحة العبقرية من مؤسسة ماك آرثر، ووجد استطلاع عام حديثٌ سونتاغ بأنها أكثر مفكري زماننا احتراما. ومع ذلك، فإن توم وولف، ذا الشهرة من الراديكالي الأنيق، ورواية نار الغرور، عندما سأل عن سونتاغ:

> من كانت هذه المرأة؟ من وماذا؟...ماكس ويبر...آرنولد توينبي. في الواقع كانت مجرد كاتبة أخرى لكتابات تافهة أمضت حياتها توقع من أجل اجتماعات احتجاج وتتباطأ في المشي إلى المنبر، يعرقلها أسلوبها في النثر الذي يحمل لاصقة سيارة معوقين يصلح في دورية بارتزان ريفيو.[٣٤]

بدت سونتاغ، حسب ما قال وولف "متحمسة لإيضاح" الحقيقة التي قالها ماكلوهان في ملاحظته إن "التذمر الأخلاقي هو أسلوب يستخدم لمنح الأحمق كرامة."[٣٥]

في نهاية المطاف فإن حلم كل ضحية هو أن يتبادل مواقعه مع جلاده، كما كتب يقول فرانز فانون الثوري.[٣٦] ورؤية فانون هذه تساعد في تفسير تحول حركة الحقوق المدنية، من حركة اجتماعية حسب التقاليد الأمريكية لحق النساء في الانتخاب والعمل، إلى ذراع للثورة.

في الخمسينيات من ١٩٥٠، كان ما يزال بالإمكان أن يوصف الأمريكيون الأفارقة بأنهم محافظون اجتماعيا، ووطنيون،

ومسيحيون باعتزاز. ما أرادوه، وما طالبوا به هو أن يكونوا أعضاء كاملين ومتساوين من أسرتنا الوطنية، وهي الأسرة التي قدموا لها كل حياتهم هم وشعبهم. وقالت أمريكا لهم نعم. السود والبيض معا، أمريكا خرجت ودفنت جيم كرو(*) كنا نبدو في الطريق إلى أن نكون بلاداً أكثر وحدة. ولكن عندما تم تصحيح المظالم الحقيقية وتمت الاستجابة للمطالب المشروعة بحقوق متساوية أمام القانون، تحرك انتباه أمريكا إلى مكان آخر. الحقوق المدنية صارت قصة الأمس.

ولإعادة السيطرة على انتباه الأمة تحتم اختراع مطالب جديدة، وعندما تمت الاستجابة لها، اخترعت مطالب جديدة أخرى. إزالة العزل العنصري لم يبق كافياً الآن. وبدأت المطالبة بالعمل الإيجابي، والحصص، ومخصصات النساء والأقليات، والمساواة في النتيجة في الوظائف والراتب، والدخل، وإعادة رسم المناطق التشريعية ومناطق الكونجرس لضمان حصة "عادلة" من مقاعد السلطة. وكان يجب إنجاز التوازن العرقي في فصول المدارس، حتى لو كان ذلك يعني النقل الإلزامي بالسيارات للأطفال البيض إلى مدارس خطرة داخل المدن. وصيحة المعركة القديمة من أجل الحرية، استسلمت لمطالب جديدة "مطالب غير قابلة للتفاوض" للقوة السوداء.

(*) اسم يرمز لممارسة التمييز المنهجي ضد السود واضطهادهم.

في العام ١٩٧١، استمعت المحكمة العليا إلى قضية كان يحتج فيها طالب أبيض يدرس القانون ضد فشله في أن يسمح له بالدخول إلى محكمة أريزونا بالرغم من أنه حصل على علامات أعلى في اختبار القضاء من الطلاب السود الذين سمح لهم بالدخول إلى تلك المحكمة. وفي أثناء مناقشة المحكمة، التفت القاضي ثيرغود مارشال إلى زميله ويليام دوغلاس وقال: "أنتم مضى عليكم سنوات وأنتم تميزون. الآن جاء دورنا."[٣٧]

حركة الحقوق المدنية اختلطت بالثورة الثقافية، وصار للقادة المتعسكرين مزيد من مطالب أحدث. فأغنيات مثل "الديكسي" يجب إلى أن تغنى علنا قطعيا، وروبرت ئي. لي يجب ألا يكرم بعد الآن. ونظرا إلى أن واشنطون كان مالكا للعبيد، فاسمه وأسماء ملاك العبيد السابقين جميعا يجب أن تزال من المدارس التي يدرس فيها أطفال السود. كتب مارك توين تحتوي على إهانات عرقية، أخرجوها من المناهج. علم المعركة الكونفيدرالي رمز للعنصرية العرقية. النسخ المأخوذة طبق الأصل عنه يجب أن تزال من أعلام الولاية كلها، وإلا فإن المقاطعة سوف تُفرض على من يرفض. وقوانين الهجرة يجب أن تضع شعوب العالم الثالث في المركز الأول في الصف لزيادة "التنوع". ونحتاج أيضا إلى قوانين بغضاء جديدة تُفرد البيض الذين يهاجمون السود بعقوبات خاصة وبإعادة تثقيفهم. والآن نحب أن نجلس ونناقش التعويضات عن أضرار العبودية.

قالت بربارا توكمان: "إن كل ثورة ناجحة تلبس في الوقت المناسب ثوب الطاغية الذي أطاحته."[٣٨] وأضاف إريك هوفر، إن كل قضية سياسية تتحول في نهاية المطاف إلى عمل تجاري وبعد ذلك تنحط إلى مستوى الابتزاز والاتجار بالمال. والحقوق المدنية تحولت إلى ابتزاز. جميع الأمريكيين من ذوي النوايا الحسنة يمكن أن يمدوا يد العون لتخفيف الكارثة الاجتماعية في صفوف الأمريكيين السود. وذلك لأن الأمريكيين الأفارقة، بعد كل شئ، هم أبناء الله نفسه ومواطنون للجمهورية نفسها. ولكن من هم أمثال جاكسون وشاربتون، وبوندز لا يريدون مساعدتنا. يريدون إغواءنا، واستفزازنا، وشيطنتنا، وذلك لأن هذه هي الكيفية التي يستبقون بها القِدر تغلي، ومنتجي التلفاز ينادون، والمنح الفيدرالية والمؤسساتية منصبة عليهم. فإذا كان ثيودور بيلبو وبُل كونور قد ماتا وقضيا، فيجب أن يوجد عنصريون عرقيون بيض جدد، ولو كان يجب في الحقيقة اختراع مثل هذين الميتين، من مثل جون آشكروفت وجورج دبليو. بوش. وقد أنذر بوكر تي. واشنطون أمريكا لتكون حذرة من المبتزين العرقيين هؤلاء:

> هناك طبقة من الناس الملونين الذين يجعلون تجارتهم هي استبقاء الاضطرابات، والمظالم، والمصاعب للعرق الزنجي أمام الجمهور. فبعد أن علموا بأنهم قادرون على أن يكسبوا معيشتهم من اضطراباتهم، فقد نشؤوا على العادة المستقرة وهي الإعلان عن

مظالمهم ـ في جزء من ذلك إنهم يريدون التعاطف، وفي جزء آخر فإن ذلك يدر عليهم دخلا. بعض هؤلاء الناس لا يريدون الزنجي أن يفقد شكاواه، لأنهم لا يريدون أن يفقدوا وظائفهم.[٣٩]

صحيح من أعلى إلى أسفل المدخنة يا دكتور واشنطون.

عندما تدور المناقشة حول قضايا العرق، يصاب الجمهوريون بالاهتزاز. ويبدون خائفين إلى درجة الشلل. لماذا؟

إنهم بوصفهم أناساً من ذوي العقول المنصفة ومعظمهم من المسيحيين يعترفون ولو بتردد بأن هناك حقيقة في اتهام ماضي أمريكا. فآباؤنا شاركوا في الاسترقاق. ونحن مارسنا العزل العرقي العنصري. ومعاملتنا للهنود لم تكن ما ينبغي أن يتوقعه الإنسان من شعب كانت له الموعظة على الجبل أمرا إلهيا. ولكن هؤلاء الجمهوريين بعد أن أدخلوا في قلوبهم إحساسا بالذنب يأكل أرواحهم، وهم في طلبهم طوال حياتهم للنقاء، صاروا فريسة سهلة لرجال الثقة من أمثال جاكسون وشاربتون الذين يديرون الخداع الكبير.

والحقيقة؟ في قصة الرق وتجارة الرقيق، كان الرجل الغربي من بين أشرار عديدين، ولكن الرجل الغربي كان البطل الوحيد أيضا، لأن الغرب لم يخترع الرق، ولكنه ألغى الرق وحده. ولولا الغرب، لكان حكام أفريقيا ما يزالون يتاجرون بلحم أقاربهم.

والأرقاء كانوا، بعد كل شيء، المحصول النقدي الرئيسي لأصدقاء مانسا موسا. أمريكا كانت مجتمع عزل عنصري عرقي، ولكن ما كان هناك من أمة يتمتع فيها الناس بحرية أعظم، وبالفرصة، وبالرفاهية مما هو هنا في الولايات المتحدة.

زمن الاعتذارات مضى. ولكن إذا كان وسط أمريكا يعتقد أن الاستسلامات والتعويضات سوف تشتري السلام في زماننا، فهو يخدع نفسه. وإذا لم يبق هناك أي مزيد من المطالب، فإن تجار الابتزاز العرقي سيجدون خطأً جديداً للعمل. ولكن طالما أن الأكثرية الصامتة مستمرة في التنازل والموافقة على هذه المطالب منهم، فإنهم سيستمرون في تقديمها. حان الوقت لقول لا ليس إلا.

إن الانحطاط بالحقوق المدنية ودمج تلك الحركة مع الثورة الثقافية يعقد مخاطر بلقنة أمريكا. وذلك لأنه في الوقت الذي كان فيه تحالف الصفقة الجديدة (نيوديل) لروزفلت قد بني على الاقتصاد، أي، الذين يملكون مقابل الذين لا يملكون، فإن التحالف الديمقراطي الجديد مبني على تصويت الكتلة والسياسات العرقية.

إذا فقد الحزب سيطرته على أمريكا السوداء، فلن يكون ممكنا قيام أي سيطرة ديمقراطية على الرياسة. هذه حقيقة سياسية في الحياة. وهكذا، فلدى الديمقراطيين خطر ضخم في إدامة الخوف والنفور من الجمهوريين بين الأمريكيين الأفارقة. في كل انتخابات

من التسعينيات من ١٩٩٠، تم اللعب ببطاقة العرق، وذلك بإذكاء نار الخوف من أن الكنائس السوداء ستحرق أو أن الناخبين السود سوف يسلبون حق مواطنتهم وتصويتهم. في انتخابات العام ٢٠٠٠، ذهب السيد غور إلى كنيسة سوداء في بيتزبيرغ لتقديم تأملاته عن منافسه:

> عندما يقول خصمي، الحاكم بوش، بأنه سوف يعين بنائيين صارمين في المحكمة العليا، فإني أفكر غالبا بالمعنى البنائي المحدد بصرامة والذي استخدم عندما كتب الدستور وكيف أن بعض الناس حسبوا على أنهم ثلاثة أخماس المخلوق البشري.[٤٠]

كان السيد غور يضمر أن السيد بوش ليس لديه مشكلة حقيقية مع الرق. مفرِّق؟ نعم. ولكنها ربحت. فالأمريكيون الأفارقة تحولوا بأرقام قياسية في العديد من الولايات وصوتوا بنسبة أحد عشر إلى واحد في صالح ألبرت غور. إذا كان البيت الأبيض هو الجائزة فلماذا يتخلى الديمقراطيون عن بطاقة العرق الذي هو ورقة اللعب الأولى الرابحة في اللعب بالورق في أمريكا الحضرية؟ ماذا يفعل آل شاربتون وجيسي جاكسون في لعبة بوكر عالية المخاطر حيثما تكون بطاقة اللعب العرقية قد سقطت من شدّة ورق اللعب؟

وهناك أسئلة أكثر إثارة للاهتمام: لماذا يستمر الجمهوريون،

انتخابات، بعد انتخابات في تكريس مثل هذه الطاقة والجهد في محاولة صدع أصلد كتلة يملكها الحزب الديمقراطي؟ لماذا لا يذهبون "إلى الصيد حيث يوجد البط"؟ إن أضخم كتلة تصويت للجمهوريين وأكثرها ولاء هي أكثرية أمريكا. في العام ١٩٧٢، كسب السيد نيكسون ٦٧ بالمائة من الأصوات البيضاء، وفي ١٩٨٤ كسب السيد ريغان ٦٤ بالمائة. والسيد بوش كسب ٥٤ بالمائة، ولكن كان منهم ٦٠ بالمائة من الذكور البيض. وبما أن البيض ما يزالون يشكلون ٨٢ بالمائة من بطاقات الانتخاب، وإذا كان الجمهوريون يستطيعون أن يرفعوا حصتهم من ذلك التصويت من ٥٤ بالمائة إلى ٦٠ بالمائة، فلا حاجة تقريبا لأي أصوات أخرى.

الذكور البيض هم ضحايا الحصص، وبرنامج العمل الإيجابي، ومخصصات الأقليات والنساء، والتمييز المعكوس. إنهم الأهداف المفضلة للإساءة من طرف الأكاديميين، والصحافيين، ودعاة حقوق المرأة، و أمثال جاكسون، وشاربتون، وبوندز. ومع ذلك، ما من واحد من مهاجميهم محبوب في وسط أمريكا. فإذا كان الحزب العظيم القديم سيأتي بنهاية للتفضيلات العنصرية العرقية وبتأجيل للهجرة، ومناشدة للأكثرية الصامتة، مثلما يقوم الديمقراطيون بمناشدة الأقليات، فإن حظوظ الحزب في الانتخابات القومية لا يمكن إلا أن تتحسن.

ويستذكر المرء أن الرئيس بوش الأول فاز بالبيت الأبيض بأن لف إذن نهاية الأسبوع، الذي منحه دوكاكيس للقاتل ويللي هورتون، ولف بطاقة عضويته في الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية، لفهما حول عنق دوكاكيس. وخسر بوش الأول البيت الأبيض برفع الضرائب وتوقيع قانون الحصص " ـ ليصل" إلى المنشقين الذين أعادوا الدفع للجمهوريين بشكل ثابت بقفاز رطب في الوجه.

الأمريكتان

عندما تصل إلى مفترق في الطريق اتبعه، هكذا قال اللاعب يوجي بيرا.

والحزب الجمهوري هو عند مفترق في الطريق. والقرار الذي يتخذ سيكون قرارا حاسما بقدر ما كان حاسما القرار الذي اتخذه الحزب في سان فرانسيسكو كاو بالاس في العام ١٩٦٤، عندما اختار الحزب باري غولدووتر في ذلك الوقت عندما كان يصدق قول الشاعر:

"أن تكون حيا في ذلك الفجر فهو النعيم

أما أن تكون شابا فهي الفردوس بنفسها."[٤١]

وكما يكتشف المعلقون من اليسار و اليمين، صار العرق والثقافة حاسمين في السياسات الرياسية. فالأمريكيون السود، والهسبان،

واليهود صوتوا بشكل ساحق لغور. ولكن نسبة السيد بوش البالغة ٦٠ بالمائة من الأصوات بين الذكور البيض هي التي جعلت السيد بوش رئيسا .إن الخريطة الانتخابية مقاطعة مقاطعة تبين أن أمريكا تصبح أمتين. آل غور اكتسح المقاطعات الساحلية من واشنطون، وأوريغون، وكاليفورنيا، ولكنه لا يكاد بشق الأنفس يحمل مقاطعة مفردة شرق الساحل. من ٢٣٠ مقاطعة في نيفادا، ويوتاه، وايداهو، ووايومنغ، ونبراسكا، وكنساس حمل غور ثلاثة. ولكن غور عمل بشكل جيد صعودا في وادي نهر الميسيسيبي من نيوأورلينز إلى باتون روج، وممفيس، و سينت لويس، وقاد سيتيز، وسينت بول. و أما وراء مدن النهر وضواحيها، فقد انسحق غور في هذه الولايات في وسط أمريكا. و كما كتب المؤرخ رالف ريكو يقول: تستطيع أن تسوق سيارتك عبر أمريكا بأي طريق تقريبا بدون الذهاب عبر أي مقاطعة واحدة حملها غور.[٤٢] ولكن من المستحيل تقريبا أن تسوق عبر أي ولاية، باستثناء رود آيلند، بدون أن تعبر المقاطعات التي ذهبت إلى بوش.

ما الذي يحدد سياسات القرن الحادي والعشرين؟ وبحسب ما تقول الواشنطون بوست هو الأخلاق والثقافة:

> المعارك التي تدور حول الإجهاض، وضبط الأسلحة والقيم الثقافية الأخرى هي التي تعيد تشكيل السلوك الانتخابي بشكل مذهل لدى

الناخبين الأمريكيين، وهي تحول الطبقة العاملة البيضاء الديمقراطية منذ وقت طويل إلى جمهوريين وتحرك الكثير من البيض الأغنياء من الحزب القديم الكبير إلى حزب روزفلت... القضايا العرقية مثل نقل طلاب المدارس في حافلات النقل المختلط، وبرنامج العمل الإيجابي، كلها دفعت المنتخبين ذوي الياقات الزرقاء إلى الحزب القديم الكبير، وفي الوقت ذاته فإن تلك القضايا الثقافية، خصوصا حقوق الإجهاض، قد بنت ولاء ديمقراطيا بين المهنيين البيض.[٤٣]

بين الأمريكيين الذي يكسبون خمسين ألف دولار في السنة أو أكثر، وكانوا يوما ما ناخبين جمهوريين صلبين، هبط هامش بوش إلى ٧ بالمائة. جمعية المحامين الأمريكيين، والجمعية الطبية الأمريكية، كانتا في الماضي قاعدتين جمهوريتين. لم تبقيا كذلك. والآن تعتبران إقطاعيتين معاديتين. وعن وسائل الإعلام، كان هذا صحيحا منذ وقت طويل. ويكتب المحلل تِرّي تيتشاوت ليلة الانتخابات:"كان ينبغي أن يُحذّر موظفو السي إن إن... لئلا يهتفوا عندما أعلن مذيعو الشبكة أن الغور قد أعلن رابحا للولاية خشية أن يسمع المشاهدون هتافاتهم."[٤٤]

ولكن إذا كانت النخب المهنية تتحرك نحو اليسار، فالبيض الفقراء يتحركون نحو اليمين. والذي يحدث هو تبادل الناخبين. وقد اكتشف توم إدسول من البوست أنه "في تسع من أفقر

المقاطعات العشر في كنتاكي...، وهي أماكن حزب هاري إس ترومان الديمقراطي عاملت المقاطعات بفظاظة خصوم الجمهوريين، فاز جورج دبليو. بوش مرارا بهوامش تعكس صورة فوز غور في أغنى المقاطعات وأفضلها ثقافة."[٤٥]

غور خسر كل قطاع للدخل من أمريكا البيضاء، باستثناء الذين يكسبون تحت مبلغ خمسين ألف دولار في السنة، وقسم هذا الصوت مع بوش بنسبة ٤٩ إلى ٤٦، وهذه خسارة مذهلة للولاء في صفوف البيض الفقراء لحزب الشعب. وقد قال رجل كونجرس من أوكلاهوما لهذا الكاتب منذ سنوات قليلة مضت: "القضايا الثلاث الوحيدة في مقاطعتي هي: الله، والشواذ، والأسلحة!"

إذا وضعنا العرق جانبا، فإن تكرار الحضور إلى الكنيسة صار هو تقريبا أفضل مؤشر عن الكيفية التي سوف يصوت بها الشخص. فالذين يذهبون إلى الكنيسة أسبوعيا وأكثر يصوتون للجمهوريين بأغلبية ساحقة. والذين يحضرون إلى الكنيسة نادرا أو لا يحضرون قطعيا يصوتون للديمقراطيين. نعم، فيرجينيا، نحن بلدان.

في انتخابات العام ٢٠٠٠، ذهبت تذكرة الجمهوريين بعيدا عن قضايا العرق، والثقافة، والحياة، مفترضين، على نحو صحيح، أن العداوة لكلينتون وغور بل والكراهية لهما اضافة لذلك ستُفهم المحافظين الاجتماعيين حقيقة الأمر. لقد كانوا على حق. ولكن

هامش الفرق في الأصوات، وهو ثلاثة ملايين صوت، لصالح غور - نادر على بوش - تشيني، قد تكون آخر دعوة لليقظة سيتلقاها الحزب الجمهوري.

وإذا لم يدافع السيد بوش وبيته الأبيض عن قضية الحياة، والمجتمع المصاب بعمى الألوان، والقيم التقليدية، فإن هذه القضايا سوف تضيع. وإذا رفض الحزب الجمهوري، بعد أن صار في السلطة، أن يقدم القيادة للمحافظين الأخلاقيين والثقافيين، وللاقتصاديين المحافظين كذلك، فإن الكثيرين سوف يتخلون عن الحزب، وعن السياسة كذلك. وبالنسبة إلى السيد بوش فإن الاختبار الحاسم هو المحكمة العليا. فإن ترشيح قاض موافق على حق الاختيار للنساء في الإجهاض سوف يثبط عزيمة اليمين ويوهن معنوياته. وإذا ترك الرئيس المقعد التالي يذهب إلى جناح المحكمة الذي فيه سوتر_ستيفنز_جينزبيرغ_برير، فإن المحاججة الوحيدة الباقية للحزب القديم الكبير هي القول إنه أقل الشرين، وهذا ليس كافيا. ما قاله جو لويس عن متحديه للوزن الثقيل الخفيف بيللي كون يصح عن الرئيس في حروب الثقافة:" يستطيع أن يهرب، ولكنه لا يستطيع أن يختبئ."

لا يهم ما قد يرغب فيه "المحافظون الرحماء"، فإن حرب الثقافة والنزاع العرقي لن يزولا. الكثيرون لهم منفعة خاصة.

الأمريكيون الأفارقة والهسبان هم ربع سكاننا. وكلاهما يصوت بصفته كتلة واحدة في الانتخابات الرياسية. ووسائل إعلامنا، أيضا، لها نصيب في النزاع العرقي. فالتقديرات ودولارات الإعلان التي تتدفق منها تتطلب نزاعا، وليس هناك من نزاع _باستثناء الحرب نفسها _ أكثر جاذبية من النزاع العرقي. محاكمة أو. جيه. قد تكون قسمت واستقطبت أمريكا، ولكنها ضمنت عاما ناجحا لشبكة سي إن إن.

و الميزانيات المنتفخة للوكالات الفيدرالية_هيئة الفرص المتساوية للتوظيف، وهيئة الحقوق المدنية، وأقسام الحقوق المدنية في العدل، والتعليم، والصحة، والخدمات الإنسانية _كلها تتطلب تزويدها باستمرار "بضحايا" جدد للعنصرية العرقية. وكلما ازدادت النقود التي تستلمها هذه الوكالات ازداد عدد المخالفين والضحايا الذين يجب أن تجدهم. وحسب قانون باركنسون فإن العمل يتوسع ليملأ الوقت المخصص له.

و الحقوق المدنية اجتذبت أيضا محامي المحاكمة. إن تقريرا إخباريا بأن زبونا أسود قد تم التطاول عليه أو أن طالبا للغداء أسود منعت عنه الخدمة، هو مثل ربح بطاقة يانصيب. فلكونها بطيئة في تقديم الخدمة لستة من عملاء الخدمة السرية السود في آنابوليس، كان على الشركة الأم لشركة ديني أن تدفع ٥٤ مليون دولارٍ إلى

٢٩٥,٠٠٠ مدعٍ ومحاميهم، وأن توقع على اتفاقية مع الجمعية الوطنية لتقدم الشعب الملون لتستأجر المزيد من الأمريكيين الأفارقة وترعى المزيد من شركات الموردين المملوكة للأقليات.[٤٦]

مقاطعة حضرة المحترم جاكسون في الثمانينيات من ١٩٨٠ لشركة آنهوسر ـ بوش حُلت بطريقة ودية فصار ابناه يوسف وجوناثان في العام ٢٠٠٠ يديران أضخم توزيع لأنهوسر ـ بوش في شيكاغو. وتروي جريدة شيكاغو صن ـ تايمز أنه بعد توجيه جاكسون "بالتهديد بالاحتجاجات" ضد دمج مؤسسة جي تي مع بل أتلانتيك، وإيه تي آند تي مع سي تي آي عاد "فغير نغمته" عندما "تبرعوا" للمجموعات التي يقودها جاكسون و "وافقوا على طلبات (جاكسون) بإعطاء عقود لمالكي الأعمال التجارية من الأقليات ـ على الأقل بعض مَنْ قدمهم جاكسون لرؤساء المؤسسة."[٤٧] الطرق التي تبقي الأمل حيا لا تحصى.

الموظفون السود من التحالف المسيحي، الذين يزعمون أنهم لم يدعو إلى حفلة عيد الميلاد، وكان عليهم أن يخدموا في عشاء تدشين أكثر من أن يجلسوا مع الموظفين الآخرين، قد أقاموا دعوى ضد الأضرار التي أصابت نفوسهم واحترامهم لأنفسهم. والمبلغ المطلوب ـ ٦٢١ مليون دولار.[٤٨]

الابتزاز العرقي لن يزول، وهو يصير ابتزازا معولما. ففي

ديربان، في أفريقيا الجنوبية، في أيلول / سبتمبر ٢٠٠٠، استضافت الأمم المتحدة المؤتمر العالمي ضد العنصرية العرقية، والتمييز العنصري، وكراهية الأجانب، وما يتعلق بذلك من عدم التسامح. والغرض: هو انتزاع اعتذار رسمي من الولايات المتحدة عن "الرق عبر الأطلسي" والحصول على التزام بعشرة بلايين "تعويضات" للأمريكيين الأفارقة عن جريمة الأمة التاريخية هذه التي كانت "جريمة ضد الإنسانية".

حضرة المحترم جاكسون وحلفاؤه في منتداه الأسود أملّوا أن يكون كولن باول حاضرا معهم ليضمنوا تغطية عالمية، في الوقت الذي يجري فيه اتهام بلاده وإدانتها، وشجبها وأمرها بأن ترد الحق الشرعي لأصحابه من أحفاد العبيد الأفارقة. ولكن إدارة بوش، على كل حال، رفضت الدور المحدد لها، وطلب كولن باول أن يعفى من الذهاب، وانفجر المؤتمر بعد أن خطفته الدول العربية وحولته إلى محكمة عسكرية تعقد والمعركة جارية لمحاكمة إسرائيل على "العرقية العنصرية" وعلى "التفرقة والعزل العنصري." وانسحب وفد الولايات المتحدة المنخفض المستوى، ولكن هذا ليس آخر ما سيسمعه الأمريكيون عن "التعويضات" عن الرق، وذلك لأن الذين سيكونون هم المستفيدين من هذا الأمر سيكون لديهم حمسة ضخمة جدا في إدارة الغش والاحتيال.

وسوف يكون علينا أن نحتمل ذلك مع وسائل الاتصال الجماهيري، ومع الحزب الديمقراطي، ومع البيروقراطية الفيدرالية، ومحامي المحاكمات، والأمم المتحدة، ومع العالم الثالث لأنهم جميعهم يملكون استثمارا ضخما في السياسات العرقية، سوف يكون علينا أن نحتمل ذلك إلى أن تقرر الأمم الغربية أنهم تحملوا ما يكفي ثم يخرجون من اللعبة. ولكن ذلك قد يكون أكثر بكثير مما نتوقعه من شعب خائف.

obeikandl.com